النثر الجاهلي

قبل الحديث عن النثر الجاهلي وأنواعه لابدّ لنا من القول انّ النثر الجاهلي قد ضاع الكثير منه ولم يصل الينا إلا القليل لاسباب عدّة أهمها: عدم احتواء النثر على الوزن والقافية الموجودة في الشعر، وهذا ما يفسر لنا كثرة الشعر الجاهلي وقلّة النثر الذي وصل الينا من العصر الجاهلي، إذ انّ احتواء الشعر على الوزن والقافية ساعدته كثيراً، إذ سهّلت عملية حفظه وروايته لاطول فترة زمنية، أما النثر فلا يحتوي على الوزن والقافية وهو ما جعله عرضه للضياع والنسيان والتبديل، لكن يوجد في النثر بعض الامور التي ساعدت على البقاء، مثل السجع، وغيره.

Scanned By Camera Scanner

رواية النثر الجاهلي

وصل النثر الجاهلي عن طريق الرواية الشفوية حاله حال الشعر الذي وصل إلينا عن طريق الرواية الشفوية أيضاً.

مصادر النثر الجاهلي

ونقصد بها المصادر التي نجد منها بعض أنواع النثر الجاهلي وأهمها:

١- كتب الأمثال: وأهمها: كتاب الأمثال للمفضل الضبي، وفي هذا الكتاب يذكر المفضل الضبي المثل ثم يشرحه مستطرداً إلى ما يعترضه من لغة أو خبر أو يوم من أيام العرب (مقارع العرب)، فالكتاب لم يقتصر على ذكر المثل فحسب، بل تجاوزه إلى شرحه وأحداثه التاريخية ومناسبته.

Scanned By Camera Scanner

٢- كتب التفاسير والشروح.

٣- كتب السير والتاريخ والبلدان.

أنواع النثر

للنثر الجاهلي أنواع أهمها:

١- الأمثال: وهي صيغ متوارثة تتميز

* ببلاغتها ومعانيها المكثفة.

ومن الأمثلة على ذلك: المثل:

- «الحرُّ حُرٌّ وإنْ مسَّهُ الضرُّ».
- «في الجريرة تشترك العشيرة».
- «قتل الرجل بين فكّيه».

٢- الخطبة:

شهد العصر الجاهلي أنواعاً من الخطب، تختلف باختلاف الدواعي التي تستوجبها، وأشهرها:

Scanned By Camera Scanner

١- الخطبة الحماسية الداعية إلى الحرب:
(الخطبة الحربية) ومثالها قول هانئ بن قبيصة الشيباني يحرض قومه يوم ذي قار:
((يا معشر بكر هالك معذور خير من ناج فرور، إن الحذر لا ينجي من القدر، وإن الصبر من أسباب الظفر، المنية ولا الدنية، استقبال الموت خير من استدباره، الطعن في ثغر النحور أكرم منه في الأعجاز والظهور، يا آل بكر قاتلوا فما للمنايا بد))
وقد جرى العرف في الخطب أثناء الحرب وقبل بدء القتال أن يخطبوا واقفين أو على صهوات خيولهم أو فوق مرتفع من الأرض، وكان القائد أو الفارس يخطب وسيفه أو رمحه في يمينه.

Scanned By Camera Scanner

٧- خطبة الإملاك أو الزواج:

اعتاد العرب قبل الإسلام إذا أراد أحدهم ان يتقدم لخطبة فتاة أن يفصح عن ذلك أمام أهلها، يكشف بها عن شجاعته وشرف أصله ونبل محتده وسلامة عقله ولسانه وغيرها، ولا يشترط في الخطيب أن يخطب بنفسه، بل يجوز ان ينيب عنه من يخطب بدلاً منه، وقد تعارف العرب على ان خطبة الإملاك أو الزواج يلقيها الخطيب وهو جالس خلافاً لجميع أنواع الخطب، حيث يلقيها صاحبها واقفاً، والمثال على هذه الخطبة هي خطبة أبي طالب بن عبد المطلب في زواج الرسول ص بالسيدة خديجة: ((الحمد لله الذي جعلنا من زرع ابراهيم، وذرية اسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً ... ثم إن محمد بن عبد الله، ابن أخي،

Scanned By Camera Scanner

مَنْ لا يوازن به فتىً من قريش إلّا رجح عليه برّاً وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً ونبلاً ...»

٣ - سجع الكهّان:

والنوع الثالث من أنواع النثر الجاهلي هو سجع الكهّان:

التكملة في الصفحة المطبوعة:

Scanned By Camera Scanner

والسجع في الجاهلية ضرب من الكلام التزم فيه الكهّان السجع، لا يفارقونه، وربّما ورد في كلام غيرهم كالسجع في بعض الخطب والوصايا والأمثال. والكهّان- كما تصورهم أخبار العصر الجاهلي- طائفة من الناس كانت تدّعي التنبؤ ومعرفة المغيبات. وكلّ كاهن كان يدّعي أنّ له رِئيّاً أو تابعاً من الجنّ يسترق له السمع، وينضو حجب الغيب، ويستطلع ما سيكون. وكان العربي الجاهليّ يصدق الكاهن أحياناً، ويفزع إليه يستشيره في المعضلات، ويستنصحه في جلائل الأعمال، كعقد حلف، والكشف عن قاتل، وإشعال حرب، ويحتكم إليه في خصومة أو منافرة، أو تعبير رؤيا. وقد يستبق الكاهن قومه، فيتنبأ لهم بما سيقع، فيحذرهم كارثة تهددهم، أو غزواً يدبّر لهم وحكم الكاهن في أغلب الأحوال كان مقبولاً لا يردّ، وقضاؤه كان نافذاً لا ينقض.

Scanned By Camera Scanner

ومن سجع الكهان ما خاطبت به زبراء الكاهنة بني رئام إذ قالت: «واللوح الغافق، والليل الغاسق، والصباح الشارق، والنجم الطارق، والمزن الوادق[١] إنّ شجر الوادي ليأدو[٢] ختلاً، ويحرق أنياباً عُصلاً. وإنّ صخر الطود لينذر ثكلاً، لا تجدون عنه معلاً».